قسم علم النفس

الأستاذة العافري مليكة

مقياس علم النفس الاجتماعي

سنة ثانية ليسانس علم النفس

تابع للمحاضرة3: ديناميكية الجماعة والقياس الاجتماعي

2- ديناميكية الجماعة:

استعير مفهوم الديناميك (dynamique)من المجال الفيزيائي والذي يقصد به في مجال الميكانيكا مختلف العلاقات التي تكون بين القوى والحركات الناتجة عن هذه الأخيرة . و يدل المصطلح على القوة والحركة والحيوية ونقيضه الثبات والسكون (statique).

و تعني الديناميكية في مجال علم النفس الاجتماعي مختلف القوى الايجابية والسلبية التي تتحكم في الجماعة وتساعدها على التوازن والتطور والاندماج أو الانكماش والتشتت. ويرى كرت ليفين" أن الجماعة هي كل ديناميكي و أي تغيير في حالة جزء من هذا الكل يؤدي إلى تغيير حالة الأجزاء الأخرى ".

كما أن هذا المصطلح يطلق على «العلاقات السيكولوجية التفاعلية التي تنمي أعضاء الجماعة خلالها إدراكا عاما بالانتماء مبنيا على المشاعرو الانفعالات و يتأثر هذا الإدراك بالمعايير الثقافية السائدة، ويقدم السلوك الجماعي متنفسا للمشاعر والانفعالات المشتركة والتي قد لا يجد لها كل فرد على حدى متنفسا ملائما.(كامل، م.1996: ص156)

و ينظر البعض الى ميدان ديناميكية الجماعة على انه "ميدان لدراسة طبيعة الجماعات وقوانين نموها ، وارتباطها بالجماعات الاخرى وبالمجتمع " (مصمودي، ز ؛ شرفي، م . 2004: ص95)

3- القياس السوسيومتري

1.3- تعريف القياس السوسيومتري

لفظ القياس السوسيومتري يتألف من شقين ،أحدهما لاتيني و الأخر يوناني، و يقصد به القياس الاجتماعي أو قياس العلاقات الاجتماعية، مؤسس هذا القياس هو جاكوب مورينو. و يرى مورينو أن الجماعات قائمة بذاتها ، حسبما يقول قد تختفي الحكومات و التنظيمات الرسمية ،إلا أن المجتمع أو الجماعات الدينامكية تسعى أن تظل و تحافظ على بقاءها ، من هنا يمكننا القول أن المقاربة السوسيومترية تهتم بالتنظيمات غير الرسمية داخل الجماعة بالكشف عن درجة تماسكها و تجانسها انطلاقا من قياس مدى تجاذب و تنافر أفرادها نحو بعضهم البعض.

3-2- أهداف تطبيق القياس السوسيومتري

تعج جماعة الفصل بمختلف أشكال التنافر والتجاذب الوجداني بل حتى المعرفي، والسبب هو أن" كل تلميذ مختلف". وهذا يجعل ضبط الفصل والتحكم في قيادته أمر جد صعب نظرا لتفاوت الحاجيات والتجارب والخلفيات ، الشيء الذي ينجم عنه تشويش على مستوى التواصل البيداغوجي، مما يجعل ديناميكية الجماعة في هاته الأقسام كبنية مركبة تأسس على التنافر والتباعد والتعقد وهذا يقتضي وضع استراتيجية تنقلنا من الاختلاف الى التوحد ومن التنافر إلى التناغم من خلال التسلح بترسانة بيداغوجية ، وديداكتيكية تمكننا من توفير شروط التواصل السليم والفاعل.

وتساعد تقنية القياس السوسيومتري على:

– معرفة مدى تماسك و تجانس بناء الجماعة،

– تساعد على فهم العمليات التفاعلية داخل البناء الاجتماعي و العلاقات الفعلية بين أعضاءها معتمدة على التجاذب و التنافر بينهم.

– هذا المنهج يستخدم لتقييم بناء الجماعة، و الهدف منه هو تنظيم الجماعة على أسس اجتماعية و نفسية سليمة و تحسين العلاقات بين أعضاءها على أساس اختيار بعضهم البعض، لا على أساس إلزام بعضهم العمل مع بعض.

– القياس السوسيومتري منهج يقيم مشاعر أعضاء الجماعة كل اتجاه الأخر ، الأمر الذي سوف يكشف عن شبكة العلاقات الاجتماعية و يطلق عليها اسم البناء السوسيومتري ،أو البناء الاجتماعي أو بناء الجماعة.

سنذكر في هذا الاطار بحث مورينو مؤلف النظرية السوسيومترية حول أطفال المدارس، بالنسبة لتلاميذ المدارس طبق الاختبار السوسيومتري على ذكور وبنات كل الاقسام الدراسية في مدرسة ابتدائية، من مرحلة روضة الأطفال إلى القسم الثامن، حيث طلب من كل طفل ان يختار من بين زملائه الذين يريد ان يراهم في القسم، ويريد ان يجلس الى جوارهم، وقد بين التحليل الكمي لهاته الاختيارات ان الانجذاب بين الجنسين كان اكثر في روضة الأطفال، ليقل بعد ذلك ويصل الى اقل حد في السنة الرابعة، ويبدأ بالتصاعد نسبيا في السنة الخامسة، ويبلغ الصفر في السنة السادسة، ليصعد من جديد وبسرعة خاصة في السنة الثامنة. اما الانجذاب بين الأطفال من ذوي الجنس الواحد، يأخذ الذكور فيه المبادرة في السنة الثالثة، ثم تتفوق الاناث على الذكور في السنوات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، ثم يتم التقارب من جديد، لكن الاناث يأخذن المبادرة في السنة الثامنة. كما ان بعض الأطفال الآخرين بقوا منعزلين لم يختاروا احد ولم يخترهم احد، والبعض الآخر كون اختيارا ثنائيا وثلاثيا وسلسلة، والبعض الآخر حقق نسبة كبيرة من الاختيارات من قبل زملائهم، وأصبحوا بذلك "نجوما". (حيمود، أ. 2010: ص164).

والذي يجب على المربي ألا يتجاهله هو الاهتمام بحاجات التلاميذ، وتنظيمهم، وعلاقاتهم الإنسانية، وكيف يتفاعلون الواحد مع الأخر.

ان معرفة التنظيم الرسمي وغير الرسمي ضرورية للمربي لأنه يشغل الدور القيادي التربوي الرسمي داخل القسم، لذلك فان عددا من الكتاب يرون ان القيادة المدرسية الناجحة هي التي تستطيع ان تعرف سلوك أفراد المجموعة التي يديرها، وهو ما يسمى بالنسق الاجتماعي الذي يتخيله .

و للمتعلم حق في اختيار شريك أو رفيق في عمل ما يقتضي أو يسمح بعمل جماعي وتعاوني، و عليه فتطبيق السوسيومترية في الميدان التعليمي شيء مهم بالنسبة لنا لكي نتعرف عن مغزى هذه الحركات الديناميكية والتفاعلات بين أعضاء الجماعة ، وبالتالي تزيد من تعميق معارفنا حول كيفية سير جماعة القسم، وتعميق مفهومها على ضوء ما توصلت إليه السوسيومترية.

وقد بينت الباحثة (دلريو) ان الأطفال يتحركون في عالم مساويهم لتحقيق وقطع العلاقات القديمة حتى في داخل جماعاتهم، في حالة ما تغيرت حاجاتهم نظرا لتجارب جديدة اجتماعية، بحيث يعبرون عن مختلف المستويات المدرسية.

وتؤكد في قولها : "إذا حققت الجماعة الحاجات الكائنة عند الطفل فانه سيساويهم في تربيته الشخصية، ويصبح تلميذا مرحا، ومتعاونا، وبالعكس إذا كانت حاجته غير ملبية، زد على ذلك انه إذا تعلم القليل فانه سيستطيع التعبير عن حرمانه عن طريق إظهار عداوة للمعلم والمدرسة، اما لوحده، أو عن طريق الانضمام لجماعة من التلاميذ المحرومين أيضا". (لويس، م.1970: ص575)

3-4 تطبيق القياس السوسيومترى مع جماعة القسم:

- يشترك في الإجابة جميع التلاميذ بلا استثناء.
- كل التلاميذ يجب أن يكونوا معروفين لبعضهم البعض.
- يشرح للتلاميذ أن الاستبيان التالي "سوف يساعدنا على تشكيل فرق عمل صغيرة ".
- يطلب من كل واحد (على انفراد وبسرية تامة) أن يختار عدداً من التلاميذ (ثلاثة مثلاً) الذين يرغب أن يشاركوه في نشاط معين يهم جماعة القسم وعدد من التلاميذ يرفض مشاركتهم(يجب عليه أن يفكر بمهارات الرفاق المرشحين ، ولكن أيضاً حول العلاقة التي تربطه بهم).
- يطلب من كل فرد أن يكتب إسمه ورقمه أعلى الصفحة ومحك الاختيار (اسم النشاط) وبعد ذلك يكتب أسماء من يفضلهم للمشاركة بالترتيب وأسماء من يرفضهم بالترتيب أيضاً(إذا رغب بذلك).
- جمع الأوراق.
- تحلل البيانات بعد ذلك في مصفوفة العلاقات الاجتماعية ويوضع أمام كل فرد (التجاذب (+) والتنافر (-) ثم يجمع التجاذب والتنافر وتحسب درجة الشعبية لكل تلميذ بالنسبة للجنس (في الواقع ، يقدر الباحثين أن التلاميذ غير قادرون على اتخاذ خيارات متبادلة بين الذكور والاناث إلا من 14 إلى 15 سنة من العمر). (P. Vayer and P. Roncin. 1987)
- تمثيل الاختيار والرفض بيانياً ويسمى (السوسيوجرام).

- فهم بناء جماعة القسم من خلال السوسيوجرام:

يحتل كل تلميذ في جماعة القسم دوراً تبعاً لشخصيته وقدراته فالبعض يحتل مراكز قيادية والبعض يحتل مراكز التابعين، وعليه فالسوسيوجرام هو أداة المعلم لفهم بناء جماعة القسم وادارتها من خلال التعرف على مركز ودور كل تلميذ داخل الجماعة، وتوجيهه بالطريقة المناسبة، و التي تكون كالتالي:

1 – التعرف على النجوم: وهم التلاميذ الذين يحصلون على أكبر عدد من الاختيارات وهم الذين يتمتعون بشعبية كبيرة في الجماعة، وهم القادة الذين يمكنهم التأثير في الجماعة، لذلك يمكن تعيين احدهم كرئيس للقسم والبقية لقيادة الأفواج التي يتم تكوينها للقيام بالنشاطات المختلفة.

2 –التعرف على المرفوضين: وهم التلاميذ الذين يحصلون على أكبر عدد من أصوات الرفض، وتأثيرهم سلبي ومن الخطأ توليهم مسؤوليات ،مع ضرورة علاج وضعهم وتصحيحه من خلال ايجاد اساليب مناسبة لدمج هذه الفئة وتجنب تهميشها من قبل الجماعة.

3 –التعرف على المهمشين: وهم التلاميذ الذين لا يحصلون على اختيار أو رفض وهؤلاء يجب العمل على دمجهم في الجماعة.

4– التعرف على الجماعات الفرعية داخل الجماعة الكبيرة والتي تدل أن أفرادها يمكن أن يتعاونوا بشكل أفضل من تعاونهم مع غيرهم وهذه تسمى (جيوب في الجماعة). هذه الجماعات يمكن اعتمادها للقيام بالنشاطات التعليمية التربوية المختلفة.

ومع ذلك ، من المهم أن نفهم أن السوسيوجرام لا يعبر إلا عن حالة ، في لحظة معينة ، وهي حالة الفرد في المجموعة. لذا على المعلم توخي الحذر بشأن المعلومات التي يتحصل عليها من السوسيوجرام. فهو مجرد أداة تنتج بيانات رقمية و لا تسمح بإصدار احكام على التلاميذ (كأن يقول المعلم ان التلميذ منبوذ بسبب سلوكه) . كما ان هذه النتائج يجب ان تبقي سرية ولا يتم عرضها على التلاميذ لأنها قد تؤدي الى خلق مشكلات سلوكية ونفسية لدى البعض منهم(فكيف يمكن ان تكون نفسية وردة فعل تلميذ يكتشف انه منبوذ من قبل زملاءه في القسم). لذلك فإن هذه الأداة يجب أن تكون للاستخدام الحصري للمعلم ؛ ومع ذلك، من المهم أخلاقيا و لإرضاء فضول التلاميذ، تقديم نتائج عامة ، والتي قد تتمثل في تقديم الجماعات الفرعية داخل جماعة القسم دون الدخول في التفاصيل كذكر التلاميذ المنبوذين.

كما ينصح المعلم بالتركيز حصرا على معايير العمل. فالسؤال الذي يطرحه مثلا يكون: "مع أي الطلاب تفضل العمل في مادة ما؟ " ، وليس: "أي الطلاب تفضل؟" ، وتجنب بعض الأسئلة مثل "لأي من زملائك تريد أن تحكي أسرارك؟ "،" مع من تحب أن تلعب من زملائك؟ "، و هي أسئلة تتعلق بحياة التلاميذ الخاصة ،التي يجب أن يمتنع المعلم عن السؤال عنها.

وعليه فاستخدام القياس السوسيومتري يمكن المعلم من اكتشاف شبكة العلاقات الوجدانية والفكرية، التي تجمع بين المتعلمين، فيتعرف على النجوم، والجماعات الصغرى التي تضم ثلاثة او اربع تلاميذ، ويحدد المنعزلون والمهمشون، و بهذا يتجاوز المدرس النظرة الأحادية للعملية البيداغوجية بين المدرس والتلميذ، ليفسح المجال لنظرة أوسع تضع في اعتبارها الجماعة ككل، يستطيع بموجبها ضبط النظام داخل جماعة القسم و توجيهه نحو تحقيق الاهداف التربوية و التعليمية المتوخاة.